اللغة والأدب-مجلة علمية محكّمة
ISSN: 1111-1143 EISSN: 2602-5202
العدد:31؛ المجلد:16؛ الشهر/السنة:2019

Language and Literature
A peer-reviewed Scientific journal
Issued by
the Departement of Arabic Language
and Literature

اللغة والأدب

I.S.S.N: 1111-1143
E.I.S.S.N: 2602-5205

اللغة والأدب
مجلة علمية محكّمة
يصدرها
قسم اللغة العربية
وآدابها

الحجاج وعلاقته ببلاغة الخطاب الإقناعـــي.

Al-Hajjaj and its relationship to the rhetoric of persuasive discourse

طالبة دكتوراه: فاطمة سيدي عومر, PhD student:Fatima Sidi Oumar

جامعة وهران 1أحمد بن بلة University of Oran 1 Ahmed Ben Bella

المؤلف المرسل(باللغتين): الاسم الكامل:	الإيميل:
فاطمة سيدي عومر Fatima Sidi Oumar ,	
تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:
2019/08/21	2019/10/09

الملخص:

إنّ الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر برز بشكل كبير في الحقلين النقدي واللساني، ما جعل البلاغة تفرض نفسها في مختلف المجالات المعرفية والاجتماعية والسياسية والقانونية والإعلامية بكل أنواعها، إضافة إلى الدينية والنّفسية والأدبية والفنية، الأمر الّذي حقّق ترابطا بين الحجاج وبلاغة الخطاب الإقناعي. ذلك أنَّ الحجاج قد استخدم في عملية التأثير والتأثر في سلوك المخاطب عن طريق الرسائل الإقناعية. كما أنَّ الحجاج نشأ في بيئة تعنى بالحوار ولغة الإقناع، لتتخطى البلاغة دراسة اللغة إلى ثقافة مجتمعية تُعنى بمدى نجاح عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه، وكأنّها تجمع بين الحجاج و إنشاء الخطاب الإقناعي. هذا ما فعله " بيرلمان perlman" عندما جمع بين الجانب اللغوي والتداولي المقامي في إطار حجاجية الخطاب.

والسؤال الّذي يفرض نفسه علينا هو: ما مدى تأثير الحجاج في حقل بلاغة الخطاب الإقناعي؟ وهل نجاح البلاغة يتوقف على العلاقة بين الخطاب البلاغي ووسائل الإقناع؟

الكلمات المفتاحية: الحجاج، بلاغة الخطاب، الإقناع، التواصل.

إنَّ للحجاج علاقة وطيدة بجميع أنماط الخطاب، ما يجعل الحجاج مرادفا للبلاغة، ما يستدعي ربط الخطاب بالوضع التواصلي بين المرسل والمرسل إليه. فالحجاج هو " العملية الّتي من خلالها يسعى المتكلّم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية".

واهتمام هذه المداخلة ببلاغة الإقناع هو تقدير للحيوية الّتي استعادها علم البلاغة في العصر الراهن، ومن أهم خصائص هذه الحيوية، نذكر أولا الرهان على الاجتماعي، إذ جعلت العلاقة الاجتماعية من أوليات انشغالاتها، ذلك أنَّ كل خطاب مقنع هو حجاجي، مع وجود خصوصية لكل صنف بعينه، وهذا ما يجعل الخطاب الحجاجي

نفسه يحوي خصائص أسلوبية جمالية تثبت بلاغته. وهذا ما يعرف بالتواصل الحجاجي الّذي يهدف إلى إقناع المتلقي بأهمية أو صحة المرسل. لأنَّ هدف البلاغة يتمحور حول الإقناع. ولأنها تملك دورا كبيرا في قراءة الخطاب.

لذلك فإنَّ بلاغة الإقناع تبحث في الآليات البلاغية والتداولية الّتي تجعل الخطاب مقنعا، بغض النظر عن كونه خطابا شفاهيا أو مكتوباً، " إذ يُصيب الخطاب على قدره أو مقامه مادام هو المراد إقناعه"[1].

ذلك أنَّ البلاغة تجاوزت الاهتمام بالمتلقي السامع، إلى الاهتمام بالمتلقي القارئ. وبذلك تكون قد تجاوزت الخطاب المنطوق واستبدلته بالخطاب المكتوب، ذلك أنَّ "الدور الحديث للطباعة يجعلنا نولي عناية خاصة بالنصوص المطبوعة"[2].

كما أنَّ المتلقي في الخطابة الجديدة، لم يعد متلق سلبي كما كان في السابق، وإنَّما أصبح متلقياً إيجابياً، يمعن فكره فيما يتلقى، ينقد ويدعّم ويناقش، ويدلي برأيه في المسائل الّتي تعترضه. بينما المتلقي في الخطابة القديمة كان يتلقى الخطبة كما هي، دون إمعان النظر فيها، فبحكم سلبيته كان في درجة أدنى من الخطيب، بينما المتلقي الإيجابي كان في درجة موازية لدرجة المرسل، فالعلاقة بينهما علاقة أفقية[3].

وعليه يمكننا القول: إنّ اللغة في الخطاب الحجاجي تقوم بدور جوهري وفاعل في تحقيق التأثير، فالمفردات والتراكيب الّتي يختارها المتكلّم لوصف حدث ما تعكس بطبيعة الحال موقفه اتجاه ذلك الحدث من جهة أخرى[4]. ومن أمثلة ذلك ما تقوم به وسائل الإعلام من تلاعب في الألفاظ والتعابير بغية توجيه الرأي العام لمصلحتها الخاصة، مستغلة في ذلك الإمكانات اللغوية غير المحدودة، والّتي يتجاوز دورها إثارة المشاعر والانفعالات إيجابية كانت أو سلبية، كونها تقدّم حججا منطقية معقولة تستميل بها عقل المتلقي، وهذا ما يُعرف بالخطاب الإقناعي. كما أنَّ الإقناع ارتبط بالخطاب، فهو عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل سلوك أو الاعتقاد به، أو

1 جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة 2000 ص116.
2 المرجع نفسه، ص116.
3 ينظر: جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص117.
4 ينظر: المرجع السابق، ص118.

تجنب فعله أو ترك الاعتقاد به، بتوجيهه إلى اعتقاد معاكس، مقبول للفعل أو الترك[5].

ذهب " جميل عبد المجيد" إلى أنَّ الخطاب الإقناعي في التراث العربي يتمثّل في الخطابة لما لها من أدوار متعدّدة في حياة المجتمع العربي، وهذه الخطابة " كانت أحد النصين (الخطبة، القصيدة) اللذين دارت حولهما البلاغة العربية، إذ كانت الخطبة قسيم الشعر في الأدب العربي القديم، كما أنَّ النّص الثاني لم يخل من خطابية، من حيث كون القصيدة شاركت الخطبة في كثير من موضوعاتها وغاياتها"[6].

كما أنّنا إذا عدنا إلى دراسات " محمد العمري" و" أبي بكر العزاوي" وغيرهم كثير...يُمكن التوصل إلى أنَّ بلاغة الخطاب الإقناعي تتمثل في جانبين: جانب بلاغي يتمثل في البيان الحجاجي بما يحويه من حديث عن بلاغة الصور والتمثيل، وكذا ما أسماه الباحثون " الاستعارة الحجاجية " الّتي تناولتها الكثير من البحوث والدراسات. أمّا الجانب الثاني فيتمثل في الحجاج اللغوي الّذي انبنى على المنهج التداولي المفسّر للتواصل المقنع، وتمخّضت عنه نظريا السلالم والروابط اللغوية[7].

لقد عرِّف البيان الحجاجي بأنَّه الكشف والإيضاح عن المعنى المقصود بتوظيف الحجة الّتي تتمكّن من النفوس والعقول معاً، والهدف منها ليس الفهم والإفهام فحسب، بل إنَّ الأمر يتعلّق بالتأثير والإقناع.

والبيان قد يكون في اللفظ أو المعنى أو التأليف، غير أنَّ طبيعة هذا الأخير تستدعي ضرورة رصد العلاقات التركيبية وفق ما يقتضيه النظام اللغوي من جهة، وما يمليه السياق المحدّد الّذي ترد فيه من جهة أخرى. إذ نجد اللغويون القدامى يعبّرون عن ذلك بالمقولة الآتية: " لكل مقام مقال ولكلّ كلمة مع صاحبها مقام"، فأضحى البيان في تأليف الكلام ضمن هذا الطرح مرتهنا بمقتضى الحال[8].

ذلك أنَّ الحجاج في الاستعمال اللغوي يرتهن إلى مجموعة من المعطيات، منها ما يرتبط

5 التقاري (حمو): حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع وسالكه، مفهوم الموضع، مقال بحث منشور في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، المغرب 1987، ص88.

6 التعريف الاصطلاحي للحجاج في الفكر العربي القديم.

7 البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء أنموذجا" عبد الحليم بن عيسى، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 102، 2006.

8 السكاكي، مفتاح العلوم، مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط2، ص73.

بالمتكلّم، ومنها ما يتعلّق بـالمتلقي، ومنهـا مـا يبقى على صلة بالرسالة اللغوية نفسها، فممّا يخصّ المتكلّم فإنَّه يجب عليـــــه التحكم في الموضوع الّذي يقدّمـه، وأن يوفيـه حقّـه ممـا تسـتدعيه الصـياغة اللغويـة. أمّـا مـا يتعلّـق بمتلقي الرسالة فعليه مراعاة الحجاج.

والحجـاج عنـد بيرلمـان يتمـيز بخمسـة ملامح رئيسة هي:

1-أن يتوجّه إلى مستمع.

2-أن يعبّر عنه بلغة طبيعية.

3-مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

4-لا يفتقــر تقدمــه - تناميــه- إلى ضــرورة منطقية بمعنى الكلمة.

5-ليست نتائجه ملزمة.[9]

إنَّ هدف الحجاج حسب بيرلمان هو " دراسة تقنيـات الخطـاب الّـتي تسـمح بإثـارة تأييـد الأشخاص للفروض الّـتي تقـد لهم، أو تعزيـز هذا التأييد على تنوّع كثافته"[10].

فـ " بيرلمان يركّـز على بنيـة الحجـاج بدراسـة كل الحجج الّـتي يمكن إقامتهـا للإقنـاع ويهتم بالطريقة الّتي يتم بها التواصل مـع المجتمـع، حيث " يركّز الحجـاج على الأمـور الداخلـة في بنيته الموصـلة إلى الإقنـاع كالأمثلـة الجـاهزة والجمل الوعظية أو الإشارية الّتي تؤدي هدفا في اللحظــة الحجاجيــة في البــنى القوليــة الخطابية"[11]. وذلك بغية التأثير والإقناع.

وقد أشـار اللغويـون أنّ المخـاطبين يصـنفون إلى ثلاث أصناف[12]:

-مخاطب خالي الذهن.

-مخاطب شاك متردّد

-مخاطب جاحد منكر.

والبيـان الحجـاجي مـع الصـنفين الأخـيرين، يستدعي توظيف تقنيـات الحجـاج الّـتي تـدفع الشك والتردّد لدى المتلقي.

أمّـا فيمـا يخص البيـان الحجـاجي المرتبـط بالرسالة اللغوية فيتعلّق بالآليات اللغوية الّـتي قـد يوظّفهـا المخـاطب في الكلام من أجـل تحقيــق الغايــة من الحكم المبســوط فيــه

9 مفهوم الحجاج عند بيرلمان، محمد سالم ولد الأمين، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ط1ن دار الروافد الثقافية، بيروت 2013، ص50.

10 بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1992، ص74.

11 مفهوم الحجاج عند بيرلمان، محمد سالم ولد الأمين، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص65.

12

تصـديقا أو تكـذيبا، إنكـارا أو إقـرارًا، أو غـير ذلك[13]. وقد وضح السكاكي ذلـك في قولـه: " أمّـا الاعتبـار الراجـع إلى الحكم في الـتركيب من حيث هـو حكم من غـير التعـرّض لكونـه لغويا أو عقليا فإنَّ ذلك وظيفة بيانيـة، فكـون الـتركيب تـارة غـير مكـرّر ومجـردا من لام الابتداء وإن المشبهة، والقسـم ولامـه ونـوني التوكيـد كنحـو (عـرفت عـرفت)، و(لزيـد عـارف)، و(إنْ زيـدًا عـارف)، و(إنَّ زيـدا لعارف) و (واللّه لقد عرفت أو لأعـرفنَّ) في الإثبـات وفي النفي كـون الـتركيب غـير مكـرّر ومقصورًا على كلمة النفي مرة، كنحـو (ليس زيد منطلقا)، وغـير مقصـور على كلمـة النفي كنحـو(ليس زيـد بمنطلـق)، و(مـا إن يقـوم زيد)، و(واللّه ما زيد قائما)، فهـذه ترجـع إلى نفس الإسناد الخبري"[14].

فالحجـاج آليـة من آليـات الخطـاب، ذلـك أنَّ الخطـاب مجـال من مجـالات التداوليـة الّـتي تساعد على الفهم الدقيق لمقصدية التواصل.

ومن آليات الحجاج الإقناع بوسـائله المتنوّعـة، بهدف إقناع المتلقي، سواء أكـان مسـتمعا أو جمهورا. والبعد التداولي للحجاج يكمن فـي:

أ.**الإقناع**: والذي يتلخّص في الوسائل اللغوية، والوسائل المنطقية.

-**الوسائل اللغوية**: والتي من أهمها: التأكيد، والشـرط، والنفي، والتكـرار، وضـرب المثل، والقسم، والحوار،...

-**الوسائل المنطقية**: التدرج في ممارسة الإقناع.

-الثقافة العامة.

-المنطق السليم والحجة الصادقة.

-الرفق واستعمال القول اللين.

فالاعتناء بالخطاب شكلا ومضمونا هـو الّـذي يحقّـق الإقنـاع، بغيـة التـأثير في الاتجاهـات والاعتقادات والسلوكات والعواطف.

ومن أمثلة الوسائل الإقناعية: المنطق السـليم والحجة الصـادقة، إذ يكمن ذلـك في الابتعـاد عن محاولــة إثبــات صــحة مــا يــدعو إليــه بالخرافات والسحر والأكاذيب الّتي لا يصـدقها العقل، أو الّتي لا تبنى على أسـس علميـة أو منطقية، يقول المولى عز وجل: " وَقَالُوا لَـوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَـاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُـلْ إِنَّمَـا الْآَيَـاتُ عِنْـدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَـا

13 البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء أنموذجا" عبد الحليم بن عيسى، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 102، 2006.

14 السكاكي، مفتاح العلوم، ص64.

عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[15]

كما يطلب القرآن الكريم من النّاس السير في الأرض والبحث بشكل علمي عن حقائق الأشياء للتأكّد من وحدانية الله وقدرته، وليس تلفيق الأكاذيب، بينما الأمور واضحة وجلية، إذ يقول الله عز وجل: " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[16]

الله عزّ وجل خلق للإنسان عقلا ليفهم به ويبصر به الحقائق، إذ دعاه لاستعماله واعتماده، إذ يقول جلّ شأنه: " أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"[17]

ومن ثمَّ فإنَّ أهم المنطلقات الّتي ينجح بها المخاطب في عملية الإقناع، هي احترام العقل الإنساني، واعتماد الحجج العقلية والمنطقية في الجدال والحوار.

كما أنَّ من الوسائل الإقناعية: الرفق واستعمال القول اللين، إذ يطلب القرآن الكريم في جل آياته الرفق في الكلام مع المعارضين، وذلك بالكلمة الطيبة، والدعوة إلى الخير، إذ جاء في محكم التنزيل:" اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى"[18].

فبالرغم من جبروت فرعون إلاَّ أنَّ الله يطلب من موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يترفقا في الحديث معه، ويكون قولهما لينا.

ومن النماذج الحجاجية في الشّعر:

قول الشنفرى:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكم ***
فإنَّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُم لَأَمِيلُ

يؤكد الشنفرى خطابه برابط حجاجي يكمن في التوكيد ب: "إنَّ"، وتطابق التوكيد مع الأمر (أقيموا) يشكل ذلك صورة التهديد.

15 سورة العنكبوت، الآية:50-51.
16 سورة العنكبوت، الآية: 20.
17 سورة الفرقان، الآية: 44.
18 سورة طه، الآية: 42-47.

كما وظّف الحجاج في قوله:

لَعُمْرُكَ مَا بِالأَرْضِ ضِيْقٌ على امرئٍ

***** سَرَى راغباً أَوْ راهباً وهو يَعْقِلُ**

يعدُّ القسم (لعمرك) نوعا من أنـواع التوكيـد، والّذي يهدف إلى إقناع المتلقي بمـدى صـدق كلامه والوثوق به.

كما أنَّ التكرار وسـيلة من وسـائل الإقنـاع، إذ يظهر ذلك في قول الشاعر نزار قباني:

أحاول رسم بلادها ببرلمان من الياسمين

وشعب رقيق من الياسمين

تام حمائمها فوق رأسي

وتبكي مآذنها في عيوني.[19]

يقـرن أبـو هلال العسـكري " التكـرار بتأكّـد الحجة"[20] إذ يجعل التكرار مـدا للقـول وتأكيـدا له.

وفي الأخير يمكننا القـول إنَّ اهتمـام البلاغـة بالخطاب الإقناعي قـد أعـاد للبلاغـة حيويتهـا، وأبعد اقتصارها على ما هو أسلوب أو شــعر. كما أنَّ الحجاج له دور كبير في بلاغة الخطاب لدى المتلقي، مـا ينتج عنـه خطـاب إقناعـــي يُعنى بالتأثير في سـلوكات وعواطـف وأفكـار المتلقي،كمـا أنَّ نجـاح البلاغـة منطلقـه نجـاح الخطاب البلاغي المتضمن لوسائل الإقناع.

الهوامش:

(1) القرآن الكريم

(2) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضـل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1992.

19 نزار قباني، حياته وشعره، إعداد: عبد الفتاح الدراويش، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص486.
20 أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربي، 1952، ص156.

(3) البيـان الحجـاجي في إعجـاز القـرآن الكـريم "سـورة الأنبيـاء أنموذجـا" عبـد الحليم بن عيسى، مجلة الـتراث العـربي، دمشق، العدد 102، 2006.

(4) البيــان الحجــاجي في إعجــاز القــرآن الكـريم "سـورة الأنبيـاء أنموذجـا" عبـد الحليم بن عيسى، مجلة الـتراث العـربي، دمشق، العدد 102، 2006.

(5) التقاري (حمو): حـول التقـنين الأرسـطي لطرق الإقناع وسالكه، مفهـوم الموضـع، مقال بحث منشور في مجلـة كليـة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فاس، المغرب 1987.

(6) جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دارغريب، القاهرة 2000 .

(7) السكاكي، مفتاح العلوم، مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط2.

(8) مفهوم الحجاج عند بيرلمان، محمد سالم ولــد الأمين، ضــمن الحجــاج مفهومــه ومجالاتــه، ط1ن دار الروافــد الثقافيــة، بيروت2013.

(9) نزار قباني، حياته وشعره، إعداد: عبد الفتاح الدراويش، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

(10) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربي، 1952.

(11)